(٨) النكاح الصحى فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »

سورة البقرة ٢٢٣

النكاح الصحى فى الإسلام :

فى مطلع هذا الكتاب بينا كيف اهتم الإسلام بتثقيف أبنائه ثقافة جنسية سليمة وكاملة . ثم تناولنا القواعد العامة التى وضعها الإسلام لاختيار الزوجة وبناء الأسرة . وهنا نبحث كيف وضع الإسلام للعلاقة الجنسية منهجاً ونظاماً دقيقاً يسبق به أحدث النظريات والدراسات العلمية فى القرن العشرين .

ولا شك أن اهتمام الإسلام بالعلاقة الجنسية يرجع إلى دورها الخطير فى استقرار الأسرة وسعادتها وفى تجنيبها المشاكل والعقد والأمراض إذا أحسن استخدامها . . وهذه هى بعض تعاليم الإسلام فى هذا الباب :

١ — فالمذاهب السابقة للإسلام كانت تنظر إلى هذه العلاقة على أنها نجس وخبث وشر لابد منه مهما كانت فى الحلال . فجاء الإسلام بعكس ذلك ورفع من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته واعتبرها حسنة تكتب له فى الآخرة وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يأخذ بيد زوجته يراودها إلا كتب الله تعالى له حسنة فإن عانقها فعشر حسنات فإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها » .

وسمع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« وفى بضع أحدكم صدقة » فقال يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ثم تكون له صدقة « قال الرسول نعم : أرأيتم لو وضعها فى حرام لكان عليه بها وزر . فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

(رواه مسلم والنسائى)

٢ — ومن أول تعاليم الإسلام فى هذا المجال مراعاة المحبة والوفاق العاطفى بين الشريكين كشرط لإقامة علاقة جنسية سليمة ودائمة . . فبغير هذا التعاطف والمحبة تنقلب نعمة الجنس إلى نقمة . . وقد استنكر رسول الله على الذى يسئ معاملة زوجته ثم بعد ذلك يدعوها إلى فراشه فيقول :

« يظل أحدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها إلى فراشه فيقبلها ويعانقها ولا يستحى»

(اخرجه ابن ماجه)

٣ — ويأمر الإسلام الرجل أن يتجمل لزوجته كما يحب منها أن تتجمل له . . وفى ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

— « اغسلوا ثيابكم . وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتنظفوا فإن بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » .

ومن أقوال فقهاء المسلمين فى ذلك .

« هيئة الرجل للمرأة مما يزيد فى عفتها » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التجمل فى منظره وملبسه فى غير خيلاء ولا اسراف .

— ويوصى أصحابه بقوله : « احسنوا ركابكم حتى تكونوا شامة فى الناس » .

وروى عن الخليفة عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إليه تطلب الطلاق من زوجها . . فنظر إليه فإذا هو أشعث أغبر فأرسله ليستحم ويأخذ من شعره وأظافره . . ويصلح من شأنه . . فلما عاد أنكرته أولا ولما عرفته قبلت به وعادت معه إلى بيتها . . فقال عمر رضى الله عنه « هكذا فاصنعوا لهن والله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهم كما تحبون أن يتزين لكم » .

ومن السنة أن الرجل إذا عاد من سفره أن يصلح من شأنه وزينته قبل الدخول على أهله . . وكان الرسول إذا عاد من غزوه أو سرية يعسكر بالجيش خارج المدينة بعض يوم يغتسلون ويتمشطون قبل الدخول على أهليهم . . وكان يقول لأصحابه :

« تمهلوا حتى تمتشط الشعثة » .

أى انتظروا وأعطوا النساء الوقت ليتزين لكم . .

٤ — وفى نفس الوقت فإن الإسلام يوصى الرجل المسلم بالاهتمام بزينة زوجته ومظهرها وأن يأتى لها بخير ما يستطيع من الملبس حتى تبدو جميلة فى عينه فلا ينصرف عنها إلى غيرها ، وقد روت السيدة عائشة عن رسول الله قوله :

« النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع فإن ذلك ادعى لشهوته وأملؤ لعينه » .

٥ — وحرصاً من الإسلام على بقاء الجاذبية بين الرجل والمرأة فقد نهى كلا من الجنسين عن التشبه بالجنس الآخر سواء فى ملبسه أو فى أخلاقه وتصرفاته . . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم .

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

رواه البخارى

والقصد من ذلك أن تظل لكل من الجنسين شخصيته المستقلة وجاذبيته نحو الجنس الآخر . . هذا علاوة على مكافحة التخنث واللواطه فى الرجال ومكافحة الاسترجال فى النساء .

٥ — ومعظم كتب التربية الجنسية الحديثة تنهى أن يباشر الرجل زوجته دون أن يسبق ذلك ملاطفة عاطفية وتمهيد جنسى . . وتقرر أن الكثير من الزوجات تصاب بالبرود الجنسى والأمراض النفسية والعصبية لأن الزوج لا يفهم هذه الحقيقة أو يعطيها حقها . وقد سبق الإسلام إلى تقرير هذه القاعدة العلمية .

فالإسلام يعتبر الرجل الذى يغفل هذه الحقيقة كأنه بهيمة لايحس ولا يدرك مشاعر غيره وفى هذا يقول رسول الله :

« لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول » .

قيل وما الرسول يا رسول الله . قال (القبله والكلام) .

وعن جابر « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل المداعبة » ولم يكن رسول الله يقصر ملاطفته لزوجاته قبل المباشرة فحسب . ولكنه كان دائم الملاطفة والملاعبة لهن فى كل وقت حتى وهو ذاهب إلى الصلاة وكان يقبلهن ويداعبهن وهو صائم وفى ذلك تقول السيدة عائشة .

— كان رسول الله ينال منى القبله بعد الوضوء ثم لا يعيد وضوءه .

٦ — وتذكر كتب التربية الجنسية أن الزوجين عليهما

أن ينوعا من الأوضاع الجنسية حتى تأخذ العملية الجنسية طابع التغيير والتجديد وحتى لا يمل أحد الزوجين من الآخر . وقد جاء بعض الصحابة يسألون رسول الله فى الأوضاع المختلفة التى تتبعها الشعوب الأخرى كاليهود والفرس فنزلت آيات القرآن تبيح لهم اختيار الوضع الذى يشاءونه بغير قيود أو حدود فيقول تعالى :

— « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » .

٧ — ويفضل الصراحة والروح العلمية التى واجه بها الإسلام المسائل الجنسية فقد كان الصحابة يأتون إلى رسول الله يسألونه فى أحرج أمور الجنس وهو يجيبهم بغير استنكار ولا استخفاف . . فكانوا يسألونه عن تقبيل الفرج وعن الاستمتاع بالنظر إليه .

عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله انى لأحب أن أنظر إلى عورة امرأتى ولا ترى ذلك منى (أى أحب أن أنظر إليها ولا تنظر إلى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولم ذلك . . ان الله جعلك لباساً لها و جعلها لباساً لك . . وأنا أرى ذلك من أهلى ويرونه منى (المطالب العالية ج ٢ ص ٢٩) .

رواه الطبرانى والترمذى .

٨ - ويحرم الإسلام الشذوذ الجنسى مع المرأة أى اتيانها فى الدبر بل تؤتى فى المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هذا تقول الآية « فأتوهن من حيث أمركم الله » ويقول الرسول : استحيوا من الله ولا تأتوا النساء فى أدبارهن » (رواه ابن ماجه والترمذى) ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب به إنه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطه فى الطب والعرف والدين وعلى الأذى النفسى للمرأة فإنه يحدث تشققاً فى الشرج والتهابات شديدة . . أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالباً يصعد الميكروب إلى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج مليء بالميكروبات التى لايوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وأن الرجل قد يأخذ هذه الميكروبات لكى ينقلها بدوره إلى رحم المرأة وقد يصيبها هى بالعقم .

٩ - ويأمر الإسلام الرجل أن يتلطف بالزوجة أثناء المجامعة وأن يعمل على اشباعها جنسيا . . وأن يجتهد ألا يقضى حاجته قبل حاجتها وإذا سبقها فليحاول الصبر حتى تأخذ دورها . . وفى هذا يقول الرسول :

« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها ».

(رواه أنس بن مالك - المطالب العالية جـ ٢ ص ٣٠) .

١٠ — ويحرم الإسلام على الزوجه تحريماً قاطعاً أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها إلى فراشه . . وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لا بد أن يدفعه دفعاً إلى الكبت أو الشعور بالحرمان وقد يدفعه ذلك إلى الزنا والتطلع إلى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها

وسوف نأتى إلى تفصيل لتعاليم الإسلام فى هذه القضية فى باب البرود الجنسى عند المرأة المسلمة . .

١ — وكما أمر الإسلام الزوجة أن لا تماطل زوجها . . أو تهجر فراشه فقد أمر الزوج أيضاً أن لا يهجر فراش زوجته ما لم يكن هذا الهجر عقاباً مقصوداً ولفترة محدودة . . وفيما عدا ذلك فلا يحق له هجرانها بحجة الانشغال بأمور الدنيا وبأمور الدين . . فإن ذلك يدفع المرأة إلى اهمال نفسها وحياتها وقد يدفعها إلى الانحراف إن كانت صغيرة السن

انظر إلى هذه القصة الرائعة وحكم الإسلام دين الفطرة فيها :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر وقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا . . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا . وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . . فجاء رسول الله إليهم وقال . « أنتم الذين تقولون كذا وكذا . . ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم لكنى أصوم . . وأفطر . وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » . (رواه البخارى ومسلم) ٥

وعن عائشة أن (الحولاء) زوجة الصحابى عثمان بن مظعون. جاءت تزورها وقد تغيرت أحوالها فقالت لها عائشة . :

« مالك يا حولاء متغيرة اللون لاتمتشطين ولا تتطيبين » . .

فقالت الحولاء : وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع على زوجى ولا رفع عنى ثوباً منذ أمد بعيد » فتضاحك نساء النبي من كلامها . . فلما عاد رسول الله قالت عائشة :

يارسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع عنى زوجى ثوباً منذ مدة . . فغضب رسول الله من ذلك وأرسل إليه وقال له : ما بالك يا عثمان . . قال عثمان : إنى تركته كى أتخلى للعبادة حتى فكرت فى أن أتبتل ما بقى من عمرى ولو أذنت لى يارسول الله لاختصيت . . ؟ قال الرسول : أقسمت عليك ألا رجعت فواقعت أهلك . .

قال : يارسول الله انى صائم . .

قال : إذا أفطر . . ؟

فقام عثمان طائعاً وأتى أهله ثم وقف رسول الله وخطب فى الناس فى مسجده قائلا :

« مابال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم . . إنى أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » . (متفق عليه) .

وفى اليوم التالى رجعت الحولاء إلى عائشة وقد اغتسلت وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت : مابالك ياحولاء .

فقالت : ان زوجى عثمان أتانى بالأمس . .

وهذا مثل حى على حكمة الإسلام وواقعيته فى المسائل الجنسية وما يعطيها من اهتمام وتقييم .

ويرى فقهاء الإسلام أن الرجل لا يجب أن يغيب عن زوجته فوق أربعة أشهر وهذه القصة تبين لنا العقلية المتفتحة التى ينظر بها المشرعون المسلمون إلى مسألة الجنس : فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب يمر فى إحدى جولاته بالليل إذ سمع امرأة تنشد قائلة : —

تطاول هـــذا الليل وازور جانبه
وليس إلى جنبى خليل أداعبـــه
فوالله لـــولا الله لارب غـــيره
لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخـــافة ربى والحيـــاة تكفنى
وأكرم زوجى أن تنال ركائبه

وذهب عمر يسأل عن شأنها وقد همه أمرها . . فعلم أن زوجها غائب مع جنود المسلمين فى الحرب . . فذهب عمر إلى ابنته حفصة يسألها :

ياحفصة كم تصبر الزوجة على بعد زوجها . .

فخجلت ولم ترد . . فقال عمر :

— يابنيه . . أجيبى وانقذى أباك من عذاب أليم . .

فقالت « تصبر شهرين يا أمير المؤمنين . وتجالد نفسها بعد الثالث وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع . .

فجمع عمر الصحابة وتشاوروا وأصدروا قراراً أن لا يغيب محارب عن أهله أكثر من أربعة أشهر . . فانظر كيف كان لتعاليم الإسلام والصراحة التى واجه بها مسائل الجنس المعقدة الأثر فى هذه الحلول المتفتحة للمشاكل وانظر إلى حكمة عمر فى أنه لم يسأل زوجته فى هذا الشأن بل ذهب إلى ابنته الشابة الحديثة العهد بالزواج لكى يسألها . .

— ومن تعاليم الإسلام إلى الرجل المسلم أنه إذا رأى امرأة ووقع فى نفسه الإعجاب بها والرغبة بها فعليه أن يذهب إلى امرأته فيواقعها فإن ذلك يصرف عنه التعلق بالأخرى وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت فى قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما فى نفسه » . (رواه مسلم)

وفى هذا ما يبين لنا مدى واقية الإسلام فى معالجته لمشاكل الجنس .

(٩) العادة السرية فى رأى الدين والعلم : —

لابد لنا هنا من وقفة صريحة فى قضية العادة السرية حيث اختلفت فيها الآراء إلى الحد الذى يحدث البلبلة والاضطراب النفسى والذهنى لدى المراهقين والشباب ..

فبعض المربين والآباء إذا سئلوا من قبل المراهق يقولون أنها شديدة الضرر بالصحة وتؤدى إلى الجنون وفقدان الحيوية وضعف النظر والارتخاء الجنسى . ٥

وبعضهم يبالغ فى العكس فيهون الأمر ويجعله فى صورة مرغوبة ومحببة وكل الاتجاهين غير سليم وضار . .

ومن هنا كان الواجب على الآباء والمربين معرفة رأى الدين والعلم فى هذا المجال حتى لايخرجوا عنه . .

أما رأى الدين : فإن العادة السرية لم يرد شىء عنها فى القرآن الكريم وكذلك لم يرد عنها شىء فى الحديث النبوى : والله تعالى يقول فى سورة الأنعام « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » فالحرام هو ما حرم فى الكتاب والسنة وحدوده واضحة ومعروفة ولا ينبغى الزيادة عليها اجتهاداً من البشر والملاحظ أن بعض الناس يلجأ إلى الأحاديث الموضوعة

أو المكذوبة فى هذا المجال لتأييد رأيه . . ومن ذلك قولهم « ناكح يده ملعون ويأتى يوم القيامة ويده حبلى » . . وهو كلام موضوع ولا يوجد فى أى مرجع صحيح من مراجع الحديث . .

والخلاصة . . أنه لا يوجد فى القرآن والسنة ذكر للعادة السرية لا بالتحريم أو الإباحة .

أما رأى العلم : فتقرر الأبحاث الطبية أن العادة السرية منتشرة فى أنحاء العالم بين أكثر من ٩٠٪ من الذكور و ٦٠٪ من الإناث . .

وأنها تحدث ابتداء من مرحلة المراهقة حتى سن الزواج .

الرأى الطبى أنها ليست ضارة إذا حدثت بصورة معتدلة ودون أن يسبقها تهيج جنسى مفتعل وهى بذلك تصبح نوعاً من تفريغ الشحنة الجنسية وإراحة الأعصاب من التوتر وهى بلا شك أهون من أضرار الزنى . .

أما أضرارها فتنحصر فى الآتى : —

١ — المبالغة والإكثار دون مبرر .

٢ — افتعال التهيج الجنسى عن طريق غير طبيعى كالصور والمشاهد الجنسية .

٣ — الشعور بالذنب وتأنيب الضمير الذى ينجم عن سوء التوجيه والإرهاب المبالغ فيه .